

## الغامض الواضح في حرائق إيران



يمكن أن يشفع له، وأن الوقاحة بالغة منتهاها، وأن عمامته أجدر بأن تُداس بالأقدام، وأن جلاوزته لن ينفعوه، وأن الثمن يجب أن يُدفع، بأن يُعلق على ذات الحبل الذي ظل يعلق فيه معارضيه.

ولن تعدم إيران من بعد الحريق سبيلا لكي تعيد بناء ما تهدم، قوى الحرية والعدالة والسلام سوف تجد سبيلا لبناء نظام جديد، ومثلما تكنس العصابات كنس القاذورات في إيران، فإنها سوف تكنس في كل مكان آخر. والكل يعرف أن أحزاب الشيطان أنفسهم يعرفون، فالعاقبة آتية، وهم يرونها بما يحترق بين أصابع وليهم السفهية.

ولا حاجة لأي إحصاء. فالفضل الذي يعرفه العراقيون والسوريون والبنانيون واليمنيون، غني بما يكفي لكي يكشف عن وجه الشيطان في هذا الولي القمي من تحت عمامة النار والرماد، حتى جاء الحريق. وإذ أن لكل جريمة عقابا، فعقابه وعقاب عصابات ما يزال في أول الطريق.

الإيرانيون الذين عجزوا عن التظاهر، والذين عجزوا عن إيصال صوتهم من أجل التغيير، والذين دفعوا ثمن الجريمة مرتين، في الخارج والداخل، لا يملكون الآن إلا أن يحرقوا البيت.

وحريقا إثر حريق، سوف يفهم الولي الفقيه، أنه ما من نفاق في الفقه

للحظة وعي أن تفتح أمام هذا النظام طريقا آخر؟  
الجواب البسيط: لا، فقد سبق السيف العذل بالكثير إلى درجة أن الاستدراك بات ضربا من ضرب المستحيل.

المسألة لا تقتصر على العمى السياسي وحده، ولا على ثقافة تطرف دابت على التعنت والصلف، ولا على معاندة الحقائق، ولا الجري وراء الشعارات والتصورات الفارغة، ولا العنتريات الأكثر فراغا منها، ولا منطحة صخر الوقائع في العلاقة مع العالم والجوار، وإنما في حقيقة أن الخراب بلغ مستوى لم يعد بوسع أحد أن يحمله على اكتاف التراجع والاستدراك، ولا حتى طلب العفو، ولا حتى الاعتراف بالفضل.

لقد بلغ الانهيار الاقتصادي والصحي في إيران حد الجريمة، وهي من السعة وسرعة التداعي حتى لكانها صخرة ضخمة، ولا شيء يمكن أن يُوقف اندحارها إلى القاع. والقاع هو الحريق. هذا نظام لم يُبق ما يرحمه أيضا، وبرقيته ملاين الضحايا، إلى درجة أن جهنم نفسها ستظل تطلب حطبها لكي تتسع لما ارتكب من فظائع. والاستدراك الذي ظل ممكنا لسنوات، ضاع، وظل يضيع، عاما بعد آخر، وجريمة بعد أخرى. فالعمى المتاصل في فقهه وسياساته، ظل يدفعه إلى المزيد. ومن هذا العمى نفسه، عن رؤية الحقائق، فإنه سيندفع إلى ارتكاب المزيد من الجرائم، فلنا منه أنها هي وحدها السبيل.

انتفاضة بعد أخرى، وقمعا وحشيا بعد آخر، لم يبق للإيرانيين سبيلا إلا أن يحرقوا البيت.

والظواهر الأخرى، التي اندلعت في إيران في نوفمبر الماضي، هي التي علمت الإيرانيين الدرس الأخير. فهذا نظام، إذا خاف مما ارتكب، فإن رد فعله الوحيد هو المزيد.

وجوع لبنان، واحد من آخر الشهود على الصلف.

التقديرات على المستويات الأدنى للسلطة تقدم حقائق مروعة. يشير أحدها، بحسب اللجنة الوطنية لمكافحة الفايروسات التاجية الإيرانية، إلى أن مجموع الإصابات الراهن يصل إلى 18 مليون إنسان. وفي هذا ما يكفي لكي يرى الإيرانيون أنهم في كفة، على ميزان الوباء، بينما العالم كله في كفة أخرى. وبينما تحوم الوفيات في العالم كله حول ما يقرب من 600 ألف، فالمت في إيران وحدها يحصد نحو 900 ألف. فلماذا لا يحترق البيت على رؤوس الظالمين؟

الموت هو نفسه الموت على أي حال، والذين لا يجدون في نظامهم إلا القهر والتعسف، والذين لا يملكون القدرة على تحقيق أي تغيير، فمادام تراهم يفعلون، غير أن ينتهزوا كل فرصة ومناسبة لكي يلغوا نظام الولي الفقيه الدرس الذي لم يشأ أن يتعلمه بوسائل أخرى.

من عبقرية الشعوب أنها تبتدع وسائل لمواجهة الظلم لم يسبق أن ألفها الظالمون. وما هي العبقرية تقول ما لم يكن ليتوقعه أحد. الغامض في الحرائق المتتالية واضح، والسر فيها مكتشف، وهو أن هذا النظام الذي قاد البلاد إلى الفشل، وساق الجوار، بعصاباته، إلى فشل مماثل، لم يُبق سبيلا للتغيير سوى حرق البيت.

المفارقة الأهم هي أن النظام الذي اعتبر تدخلاته في الخارج سبيلا للدفاع عن نفسه، يستطع الآن أن يرى أن دفاعاته تنهار، ليس في الخارج وحده، وإنما يعود نقاب يوقده المظلومون في الداخل.

وإذ لا تملك إيران ما تستر به عورة انهيار البنى التحتية، ولا إدامة منشآتها الصناعية، فإن ما يحترق لن يمكن تعويضه، وسيظل يحترق المزيد حتى تكشف عصابات الولي الفقيه أنها قادت إيران إلى دمار هو ذاته الدمار الذي صنعه في العراق وسوريا ولبنان واليمن.

ولكن، هل من فرصة لوقف الحريق؟ هل من فرصة للاستدراك؟ هل يمكن

تعرف اليوم من الحرمان والتمييز ما أصبح فاضحا أيضا، لتصبح وتنام على قهر شديد. وبينما تتصاعد فيها دوافع التمرد، فإن الأصابع التي على الزناد، كانت هي التي علمتهم أن يؤمنوا بعيدان النقاب.

والبؤس الذي يعيشه الجمع، يكاد يكون لا مثيل له. ليس في الاقتصاد وحده، بل في كل شيء. والموت عميم. وإذ أدت الاحتجاجات السلمية إلى مقتل عدة آلاف من المتظاهرين، يُعتقد أن 1200 منهم سقطوا في ليلة واحدة، ودفعت بعشرات الآلاف إلى السجون، فمادام بقي للمظلومين غير أن يحرقوا كل ما يستطيعون على رؤوس الظالمين؟

علي الصراف  
كاتب عراقي

إيران تحترق، بما أوقدت. سلسلة متتالية من الانفجارات والحرائق تكاد تقول جميعها الشيء نفسه. فإذا أسقط بيد المظلومين، تحت عمامة الولي الفقيه، وأن يحتجوا، وأن يُسمع صوتهم، وأن يطالبوا بالتغيير، وأن تكف بلادهم عن سياسات التدخل والتخريب في شؤون الآخرين، وأن تخرج من دائرة العبث الثوري الذي حول اقتصادها إلى رماد، وأن تكف عن منطحة الصخر دفاعا عن مشروعه الطائفي، وأن تعود دولة "طبيعية" لا دولة عصابات وميليشيات، فمادام بقي لهم، غير أن يحرقوا البيت؟

لقد فمة لغز في الحرائق. تواليها، وتعدد أشكالها وأسبابها ومناطق حدوثها، كشف عن أنها تنطوي على بُعد احتجاجي واحد، يردد العبارة نفسها، فهذا نظام هو نفسه كان قد أحرق كل شيء، ويتعين الآن أن يندفع إلى الهاوية التي اختارها بنفسه.

الإيرانيون لا يحرقون، خلصة بدافع من الخوف. الأيام شهدت لهم، بتظاهراتهم التي ظلت تتواصل لسنوات، أنهم لا يخافون قمع نظامهم ولا وحشيته، ولا قدرته الامتناحية على البطش الجماعي. فلقد راوا من ذلك الكثير.

إنما الحرائق عمل من أعمال المقاومة الشعبية؛ المقاومة الحقيقية، لا مقاومة الخداع والدجل والزيف. وهي بقابليتها على أن تتسع، فإنما تريد للنظام أن ينهار بعجزه. وأن يجد نفسه وسط الحريق.

المظلومون لا يخسرون شيئا على أي حال. فما تحققت منشآتهم الصناعية أو التجارية أو النووية، لا تعود بمنافعها عليهم في جميع الأحوال. وتذهب عاداتها لتغذي أدوات البطش، فما الذي يمنع أن يندلع فيها الحريق؟ مناطق شاسعة وأقاليم وأقليات

**العرب**

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

## اختبار تركيا للحضارة

تمثل شراكة أردوغان وبهجلي (ويمكننا بسهولة إضافة رئيس الحزب الوطني دوغو بيريشيك) تقليد الدمار هذا الذي دمر الأناضول، والذي لم يقم فقط بترحيل وتصفية شعوب باكملها، ولكن أيضا دمر تراثها الثقافي وحاول محو كل أثر لها.

واليوم، يسيطر التخريب والتدمير التركي على السلطة مثلما يسيطر عليها تحالف أردوغان - بهجلي - بيريشيك.

لذلك يجب على كل تركي أن يفهم أن معارضة هذا المحور هي في جوهرها شئ حرب من أجل الحضارة.

ربما يكون سجن النظام لرجل الأعمال الخيري عثمان كافالا، الذي يرغب كمؤسس لمؤسسة "فاونديشن أوف أناتوليان كلتشر" في الحفاظ على التراث الثقافي والحضاري لهذه الأراضي، هو أكثر الأمثلة المؤثرة الشاهدة على هذا الصراع.

تقف تركيا الآن على المحك من الحضارة.

وفي النهاية، سنتنصر الحضارة. ولكن أولئك الذين يعارضونها قد لا ينتصرون.

إذا أردنا تكرار هذه العبارات اليوم، فهل سيتمكن أردوغان وبهجلي من الاعتراض عليها؟

دعونا نلق نظرة على الحالة التي أوصلوا إليها البلاد. تقريبا كل من حاول التحدث علنا ضد السلطات تم تخويفه وقمعه وسجنه، ولم يظهر أي من هذه الأنظمة أي علامة على التخلي عن هذه الأفعال.

لم يبق مقاوم لم يسحقه النقل القمعي للدولة. لقد نال التراث الثقافي الموجود على هذه الأراضي، وما وراء ذلك، مثل الطبيعة، نصيبهما من هذا الدمار.

لقد نال التراث الثقافي الموجود على هذه الأرض التخريب؛ الأشياء التي تم القيام بها وتلك التي لا تزال قيد التنفيذ هي نتائج ممارسة السلطة غير المقيدة، فلها شهية مفتوحة للتدمير.

وبالفعل، فإن شراكة أردوغان وبهجلي ليست سوى أحدث مظهر للهمجية وتقاليد الدمار التي تمتد جغرافيا الأناضول اليوم هي عبارة عن دمار وخراب. تمتلئ تركيا بالآلاف من الكنائس والأماكن المقدسة الأخرى التي استخدمت كأسبيلات أو مستودعات.

وفشلوا في بناء ثقافة على الأسس الثقافية التي امتلكوها.

"الأماكن التي وضع فيها العثمانيون قدمه لم تزد،" "الأماكن التي سعد فيها الأتراك ذبلت وماتت." "إن الحكام العثمانيين لم يفعلوا شيئا مع الأماكن التي احتلوها سوى تدميرها."

لقد نال التراث الثقافي الموجود على هذه الأرض التخريب؛ الأشياء التي تم القيام بها وتلك التي لا تزال قيد التنفيذ هي نتائج ممارسة السلطة غير المقيدة، فلها شهية مفتوحة للتدمير.

حتى أن بعض المصادر ذكرت أن قسوة ووحشية الأتراك لم تكن تجاه الأجانب فقط؛ ذلك أن الحكام الأتراك كانوا "يخنقون" أفراد شعبيهم بوحشية ويقتولهم إذا شعروا حتى بأقل قدر من الشك."

وقد أدرج أعظم عشر حضارات فريدة من حيث الترتيب الزمني: المصرية، الصينية، السامية القديمة (الأشورية، بابل، الفونسية، الكلدية)، الهندية، الفارسية، اليونانية، الرومانية، السامية الجديدة (العربية)، والأوروبية، وقال عنها الأتي "بجانب هذه الحضارات الإيجابية، ظهرت بشكل دوري في عصور البشرية بعض الجهات الفاعلة العابرة مثل الهون والمغول والأتراك، الذين شنوا الحروب فجة ثم اختفوا بسرعة من التاريخ. وبعد الانتهاء من مهمتهم في التدمير، والمساعدة في اندثار الحضارات المحترقة، يعودون إلى عدم أهميتهم السابقة ثم يختفون. قد نسميهم الجهات الفاعلة السلبية في التاريخ."

ليس فقط بين المثقفين، ولكن في جميع أنحاء الغرب لم تكن هناك نهاية للقصص التي قيلت عن التخريب الثقافي للآثار.

"في شبه جزيرة البلقان، ومع كل خطوة، داس الأتراك تحت أقدامهم منتجات ثقافة الآف السنين."

"في أي وقت يرى التركي شجرة، يقطعها؛" "لقد طمس الأتراك الثقافات في كل منعطف ولم يحفظوا تلك الأشياء التي يمتلكونها. لم يكونوا شعبا مؤهلا ثقافيا،

تانيير أكشيم  
باحث تركي

يمكن تلخيص قضية أيا صوفيا باكتلها بعبارات مثل "غير لائق" أو "عار". لكنني أعتقد أن الجمهور الذي أحاط به لا يمتلك الحساسية الثقافية ليجد هذه الكلمات ذات معنى. ولكن من الأفضل صياغة القضية بطريقة صريحة يمكنه فهمها بسهولة أكبر: الفعل الذي يتم القيام به فيما يتعلق بأيا صوفيا هو عرض واضح للهمجية.

إنه إعلان عن "افتقار تركيا إلى الثقافة وتبنيها لسياسة تدمير" العالم بأسره. كما أن اتحاد الرئيس وزعيم حزب العدالة والتنمية رجب طيب أردوغان وزعيم حزب الحركة القومية دولت بهجلي، هو التحالف السياسي الذي ظهر من خلاله هذا النقص في الثقافة والتدمير.

لكن "لماذا؟" لأنه من هذه الخطوة يقال للعالم إنه "على الرغم من أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، لا تزال عقليتنا عقليتنا 1453. حتى الآن، في القرن الحادي والعشرين، نحن لا نهتم تماما بالحفاظ على التراث الثقافي للبشرية. ببساطة، لا يوجد إحساس بوراثة ثقافية أكبر من تلك التي تركت لنا؛ ليس لدينا ما نساهم به في كنوز الإنسانية الثقافية. نحن غير قادرين على خلق أي قيمة ثقافية جديدة بانفسنا. نحن نستحوذ على الكنوز الثقافية للبشرية، نكسرها وندمرها."

وهذا ما يتم فعله. هنا، الآن، في القرن الحادي والعشرين، سيتم "غزو" أيا صوفيا، أحد أهم المعالم الثقافية البشرية مرة أخرى، وسيتم تحويلها إلى مسجد، تماما مثل عام 1453.

ما يجري هنا هو عمل تخريب ثقافي.

ومن هنا نستسأل: هل ستفهم شراكة أردوغان وبهجلي الأسباب التي يرى من خلالها الرأي العالمي صورة سلبية تماما لتركيا والأتراك؟

قام المفكر الروسي الشهير، نيكولاي دانييلفسكي، في القرن التاسع عشر بتقسيم المجتمعات البشرية إلى "مبدعي الحضارة" و"دمري الحضارة".

